« السلام المعلق والمنتظر » الذي يأتي ولا يأتـــي ، بحيث يكون هنـــاك دائما مجال للمساومة ، وللاخذ والعطاء ، حتى في ظل نيران المعارك ودوي القنابل والمدافع . وكل هذا يرسمه كيسنجر ببراعة وتفوق ، و« يهندسه » ، بحيث يحاول أن يتحكم في كافة المتغيرات في الموقف الواحد ، وما تخلقه هذه المتغيرات من تأثيرات في المواقف الدولية الاخرى، بل وفي الموقف الاصلي ذاته، الذي بدأ منه ، وبحيث يحاول أيضا ان يتحكم في التوازنات التي خلقها أو « تخلقت » ويسيرها نحو ضمان الهدف الاصلي الذي دفعه الى اتخاذ الحركة الاولى ، وهذا الهدف هو « جعل الولايات المتحدة القطب الوحيد المتحكم في العالم المعاصر »(٣). فدبلوماسية كيسنجر ، دبلوماسية التهدئة والتبريد أو التسكين تحاول أن تتخطى حقائق الموقف كما هي في الواقع ، وترفض تقديم الحلول الكاملة ، وانما تعتمد على اقامة موازنات ومعادلات شكلية بين قوى متعادية — لا مانع من ان تبدو هذه الموازنات أحيانا في شكل اضعاف الصديق وتقوية العدو ظاهريا بالطبع — بغرض أن تكون أمريكا وحدها هي التي تمسك بزمام الموقف ، وتتحكم في مصير العالم .

وفي النهاية لا يصح الا الصحيح ، ويذهب الزبد جفاء ، لذلك لم يكن صدفة بحتة أن الدبلوماسية الكيسنجرية « تتعطل » في الشرق الاوسط، في وقت اثبات فشلها «العظيم» في فييتنام ، فتتحرر سايجون بعد حوالي شهر من هجر كيسنجر لتنقلاته المكوكية بين اسوان واسرائيـــل . وبذلك يتأكد أن دبلوماسيـــة تهدئة العداوات — مهمـــا كانت براعتها — لن تجد في الشرق الاوسط مصيرا خيرا من مصير لقيته في فييتنام ، رغم ان اسرائيل لا تزال تمثل حتى الآن أنجح نموذج في العالم لسياسة « الفتنمة » ، وهي سياسة تجمع بين الحرب المحدودة والحرب الخاصة ، تمثل جزءا من مبدأ نيكسون — كيسنجر في آسيا ، لاطالة أمد النفوذ والتفوق الامريكيين ، وهي في حقيقتها احياء لمبدأ استعماري معروف هو « دع الآسيويين يقتلون الآسيويين » .

ودبلوماسية كيسنجر في تهدئة العداوات ، هـــي في الواقع دبلوماسية « الفترات المتباعدة » أو الخطوة بخطوة ، سواء في فييتنام او في الشرق الاوسط ، وان كان التعبير الاول — الفترات المتباعدة — يصدق على فييتنام بشكل اكبر ، فان دبلوماسية الخطوة بخطوة، قد ارتبطت بتحركات كيسنجر وحركاته في الشرق الاوسط. والهدف في الحالتين واحد ، ليس مجرد التبريد والتهدئة ، ولكن خلق روح الاستسلام نفسيا لدى العدو ، وخلق الاقتناع لديه بأن القتال لن يفيد ، وان السلام — الامريكي بالطبع — هو الممكن الوحيد ، والمفيد الوحيد . ويتم ذلك من خلال عملية انهاك نفسي مخططة ومحبوكة وتتم أيضا خطوة بخطوة ، على طريق الاستسلام النهائي ، في أرض المعركة قبل الاستسلام على مائدة المفاوضات .

وفي سبيل تحقيق ذلك ، يعتمد كيسنجـــر الدبلوماسي والمفاوض البـــارع على عدة أساليب ، يمكن اجمالها فيما يلي :

أ — الولع والميل الى الدبلوماسية السرية الكاملة . البعض يحاول أن يعزو ذلك لاسباب نفسية ، اعتمادا على دور التربية « اليهودية » والالمانية في تكوين كيسنجر ، التي خلقت لديه ميولا تسلطية لا يستطيع ممارستها بطريقة مفتوحة وزائدة في المجتمع الامريكي ، فلا يجد مفرا من اللجوء الى السرية، « ويقال انه بسبب ذلك يحس كيسنجر بسهولة أكبر في التعامل مع زعماء الانظمة الشمولية ، والدكتاتورية ، ولكنه أقل نجاحا وفاعلية حينما يتعامل مع قادة أنظمة ديمقراطية ليبرالية او شعبية »(٤). ودون أن نسقط العامل النفسي من الاعتبـــار ، ودون أن نؤمـــن بأن السرية صفة ملازمـــة للدبلوماسية ، فان أخذ كيسنجر بالسرية الشديدة ، يتناسب مع الاهداف التي يريد تحقيقها ، بحيث أولا لا يكشف أوراقه ، وبحيث يسهل عليه ثانيا التراجع عن وعود